نظارة

محمد عبدالله محمد (*)

فى مستهل قصيدة " نظارتى " من ديوان " العارف "، للأستاذ المحامى الجليل محمد عبدالله محمد .. يقول الشاعر الحكيم :

نظّارتى بعد هدِى السِّن باردةٌ
فيها الوضوحُ بلا دفءِ المواعيد
كأنها خَلْفها غيرى تُصاحبه
بين الأباطيل أو بين التجاعيد
صِدْقُ العناقيد والأغصان كَذَّبهُ
صمتُ الرمالِ وإطراق الحلاميدِ
إنّا وحيدون هذا كُلُّ ما وَصَلتْ
إليه عينى على أرضِ المواجيدِ

* * *

يجرح الشاعر الحكيم من هذه الرباعية، إلى أخرى يسخر فيها من تيه الآدمى بذاته وأمجاده، ومن كره الذى لا يفارق عزفه وإنشاده تحت راية العقل، ليخلص إلى أن المخلوق ما هو إلا ومض إخفاق وإيجاد الخالق عز وجل ..

(*) المال ٢٠٠٨/١١/٢٠

ماذا تَرَى الأرض إنْ ترصُدْها من
زُحَلٍ وهلْ ترانى وأبعادِى وأمْجَادِى
نَخْفَى وَنصْمتُ غَرْقَى فى ضآلتنَا
فيم احتجاجى وإنكارى وإبعادِى
ورايةُ العقلِ أطْويها وأشْرُهـا
وذلك الكبْرُ فى عَزفى وإنْشَادِى
عيونُ بُعْدِكَ تُخْفَينا وتُوجِدُنَا
لأسا وَمْضُ إخْفَاءٍ وإيجادِ

* * *

يمضى محمد عبدالله محمد فى رباعيات هذه القصيدة التأملية، فيتعجب من حمى غريزة التملك الضريرة التى يدفعها الطمع إلى القتال من أجل ما سوف تفقده يقينًا، وكيف أن النفس عدوة القيود حتى وإن كانت من حرير، ليسخر من انجراف الآدمى إلى الاقتتال والثراء، والاعتراض على نصيبه من الخلق !.. فهل يتأمل الإنسان فى النمل والأفيال أو الأعشاب والشجر .. هل هى تسأل خالقها ماذا أعطاها وماذا حجبه عنها ؟! لو فهم الإنسان لأدرك كنه الحياة، وفهم أن عزفها لن يوقفه سخط منه أو كدر !

يتنقل هذا الشاعر الحكيم من رباعية إلى أخرى متأملاً فى الحياة والإنسان، ليقف فى نهايتها حائرا بين السؤال والجواب . مدركا أنه لم يؤت من العلم إلا قليلا، عائدا إلى نظارته التى بدأ بها رحلته أو قصيدته، وماذا محت أنامل السن من ذاكرته وتخلل سطورها فراغات وأخطاء ..

مهاجِرُ القلبِ هل حَدٌّ لغُرْبَتِـــه
لا حَدَّ للبُعْـد إذ لا حَدَّ للأمَـلِ
من أرضِهِ طار نحو الشمسِ تُدْفئُهُ
ولا يواجـــه عيرَ البردِ والسلِ
أذاك فى خَلقِهِ شىءٌ يُساقُ لـه
كما تُساق طيـورُ البحـرِ لِلنُّقَلِ
نَشْوَى بما ليس تَدْريـه مُنَوَّمـة
فى طيْرِها بنـداءِ الشوقِ والأجَلِ

* * *

أنامِلُ السـنِّ تمحـو حَطَّ داكرتى
وفى السطور فراغاتٌ وأخطاءُ
يعشو المـاءُ كأن الليل سارقـه
وقد تواطأ أطْيـافٌ وأضـواءُ
خبـا نهارٌ وولّـى هل يُعَوِّضه أنسُ
السُّرَى وسـماءٌ فيه قَمْـراءُ
وأن تَسُوقَ حديثـًا قد يصادفُهُ
أذْنٌ وبسمةُ إعجاب - وإطـراءُ